الإنسان المُعاصر بين الزَّمن الاتّصالي والزَّمن الواقعي

أزمنة متداخلة ومتقاطعة

لمى كحّال

مقدّمة عامّة

يقول المفكّر السياسي والمؤرّخ الفرنسي ألكسيس دو توكفيل (Alexis de Tocqueville)،إنّ الثورة السياسية تولِّد ثورةً اجتماعية[1]. كان ذلك منذ ما يزيد على قرنَين، على أثر الثورة الفرنسية عام 1789، التي أسهمت في نظره في تغيير المجتمع وتحديثه. غير أنّ المعطيات والحيثيات في عصرنا هذا مختلفة. ففي هذا العصر الذي طرأت فيه تحوّلات جوهرية في مجالَيْ الإعلام والاتّصال، تكاد الثورة التكنولوجية تكون المحرّك الأكثر فعاليّة في إحلال تغييرات جذريّة، إن على المستوى السياسي أو على المستوى الاجتماعي. هي ثورة كان لها – ما زال– وقعها الجلي على المجتمعات الحديثة بكلّيتها. وبالتالي، فإنّنا في حديثنا عن التغيير الاجتماعي، وتغيير العادات والمفاهيم، لا يمكننا أن نتجاهل آثار الثورة التقنية وتبعاتها على الإنسان المُعاصر.

ولعلّ من أبرز سمات هذا العصر هي السرعة،

(1) Reinhart Koselleck, *Le futur passé-contribution à la sémantique du temps historique* (Paris: les éditions de l’EHESS, 1990).

وهي سمة فرضتها – من بين عوامل عدّة – التقنيات الحديثة. هي سرعة تُحسب بوحدة قياس «جيغا بايت» و«ميغا بايت»، مفتاحها كبسة زرّ على الحاسوب النقال الموجود في كلّ حقيبة وفي كلّ بيت وفي كلّ مكتب، أو أحد مفاتيح الهاتف الذكي الموجود في كلّ جيب وفي كلّ يد. هي أيضاً سرعة الصورة على حساب الكلمة، هي سرعة الصوتيّات والمرئيّات، سرعة المعلومات الرقمية على حساب المعلومات الورقية. هي باختصار سرعة العالَم الافتراضي الذي لا تعرقله معوقات الواقع المعيش.

لقد أسهمت التحوّلات التي طرأت على وسائل الاتّصال والإعلام في اختصار المسافات، وفي تجاوز حدودَي الزمان والمكان، وفي تزاوج الواقعي بالافتراضي. فرضت هذه التحوّلات إيقاعاً جديداً يختلف عن الإيقاع اليومي التقليدي الرتيب. وهذا ما يدفعنا إلى القول إنّه في ظل الثورة التكنولوجية، يجد الناس أنفسهم في تخبّط بين زمنَين غير منسجمَين، بل متناقضَين. الأوّل إعلامي اتّصالي تحكمه وسائل الاتّصال الحديثة، وتكتنفه السرعة والعجلة، والثاني زمن اجتماعي هو الزَّمن الواقعي المعيش، بكلّ ما يكتنفه من بطء ناتج عن الضغوط والتعقيدات الحياتيّة والتفاصيل اليومية، وبكلّ ما يحيط به من رتابة أحياناً، وتكرار أحياناً أخرى. الأوّل زمن افتراضي، والثاني زمن واقعي. الأوّل يحتوي في داخله أزمنة متعدّدة متداخلة ومتقاطعة. أمّا الثاني، فإيقاعه دقّات عقارب الساعة المعلّقة على حائط البيت.

انطلاقاً ممّا تقدَّم، نطرح الأسئلة التالية: كيف يتغلغل الزَّمن الإعلامي السريع في حياة الأفراد اليومية ليرسم معالمها وليسرّع إيقاعها؟ هل يستطيع الأفراد مواكبة السرعة التي يتَّسم بها الزَّمن الاتّصالي، في ظلّ الضغوط والتفاصيل اليومية التي تتعارض مع هذه السرعة المُفرطة؟

المتغيّرات التي تؤثّر في الإجابة عن هذه الأسئلة كثيرة ومتشابكة، يهمّنا منها في هذه الدراسة متغيِّر العمر. فتكنولوجيا الإعلام والاتّصال أمر طارئ اقتحم حياة ويوميّات جيل لم تكن التقنيات ووسائل الاتّصال في حياته أمراً بهذه الأهمّية وبهذا الاتّساع. في المقابل، هناك جيل نشأ وتربّى واكتسب هويّته، إن جاز القول، من هذه الوسائل التي باتت تدخل في صلب تكوينه الفكري والعقلي، وتلعب دَوراً أساسياً في تشكيل عاداته وفي تحديد اهتماماته. وهذا ما يدفعنا إلى المقارنة بين ممارسات جيلَيْن: جيل « قديم»

يَعتبر التحوّل التكنولوجي الاتّصالي أمراً مُستجدّاً في حياته، فيبذل جهداً للّحاق به، ليردم الهوّة بين الزَّمن الافتراضي والزَّمن الواقعي، وليثبت لنفسه وللآخرين أنّه مواكب للعصر بكلّ متطلّباته واحتياجاته، وجيل «جديد» يعيش أصلاً في الزَّمن الاتّصالي الافتراضي، ويعتمد اعتماداً شبه كلّي على وسائل الاتّصال الحديثة حتّى باتت هذه الأخيرة ترسم بأجندتها السريعة شكل يوميّاته وإيقاعها.

وللتمكّن من الْتِقاط المؤشّرات الدالّة على الاختلاف بين الجيلَين في عيش كلٍّ منهما لزمنه، قمنا بدراسة ما يزيد على عشرين حالة، كان لها دلالات مباشرة في موضوع التقاطع بين الزَّمنين الاتّصالي والاجتماعي. وبما أنّ متغيِّر العمر يهمّنا بالدرجة الأولى في هذه الدراسة، فقد حرصنا على أن يكون هناك تفاوت في أعمار الأشخاص الذين أجرينا المقابلات معهم. أي إنّنا اخترنا أشخاصاً يمثّلون الجيلَين، آخذين في الاعتبار إلى جانب متغيِّر العمر، متغيِّرات أخرى كالجنس والمستوى التعليمي. وقد تراوحت أعمار الأشخاص في هذه المجموعة بين عشرة أعوام وثلاثة وسبعين عاماً.

أمّا الأسئلة التي طرحناها على هذه المجموعة، فتناولت بدايةً عادات استخدام وسائل الاتّصال والإعلام، وتحديداً أجهزة الهواتف الذكيّة والكمبيوتر والتلفزيون. طلبنا من هؤلاء تفصيل أسباب استخدام هذه الوسائل ودوافعه، وتحديد الأوقات التي يستخدمونها فيها، والمدّة الزَّمنية التي يتعرّضون فيها إلى هذه الأجهزة. من هنا، وَصَفَتْ كلّ حالة تجربتها مع هذه الوسائل مبيِّنة كيفيّة تأثير هذه الأخيرة على وتيرة حياتها وإيقاعها.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا سننطلق من إطارٍ نظري نعتمد فيه مقاربة ذات بُعد فلسفي حول مفهوم الزَّمن. والهدف من هذه المقاربة هو تحليل العلاقة الجدلية بين الزَّمن الواقعي والزَّمن الافتراضي.

من وجهة نظر براغماتية، يَعتبر الفيلسوف وعالِم الاجتماع الأميركي جورج ميد (Georges Mead) أنّ «الزَّمن الحاضر هو نقطة ارتكاز الواقع»[2]، وأنّ «الواقع يوجد

(2) Georges Herbert Mead, *The Philosophy of the Present* (New York: Prometheus Books, 2001), p.35.

في الزَّمن الحاضر»[3]. في هاتَين العبارتَين تأكيد على الاقتران المباشر بين الواقع والحاضر. لكي يكون الحدث واقعياً، عليه أن يقع في الزَّمن الحاضر، بمعنى أنّ حصوله في الحاضر هو ما يحقِّق وجوده بالفعل. وبالتالي، فإنّ أيّ حدث غير مرتبط بصلةٍ ما بالزَّمن الحاضر لا يُعَدّ واقعاً. وهذا ما يدفعنا إلى طرح سؤال حول الزَّمن الاتّصالي ومدى ارتباطه بالزَّمن الحاضر: «هل ينطبق مفهوم الحاضر على الزَّمن الاتّصالي؟ وهل مشاهدة التغطية الإعلامية المباشرة لحدثٍ ما، على سبيل المثال، يشبه من حيث الوتيرة والإيقاع، معايشة هذا الحدث في الواقع؟ بمعنى آخر، هل تتيح وسائل الاتّصال الحديثة وتكنولوجيا الإعلام للناس أن يعيشوا الحاضر حتّى ولو لم يكن هذا الحاضر جزءاً من واقعهم؟».

من وجهة نظر ظاهراتية (phénoménologique)[4]، يقسم إدموند هوسرل (Edmund Husserl) الزَّمن إلى ثلاثة أقسام. الزَّمن الأوّل هو «الزَّمن الموضوعي»، وهو الأقرب إلى المفهوم المُتعارف عليه لدى الناس. هذا الزَّمن هو «زمن العالَم» أو «زمن الأحداث»، وهو يُقاس باستخدام الساعة أو الروزنامة. والزَّمن الثاني هو «الزَّمن الذّاتي» أو «الزَّمن الداخلي»، وهو الذي يقيس النشاطات والعمليات الفكرية والذهنية. يدور هذا الزَّمن في المساحة الخاصّة داخل كلّ إنسان. أمّا القسم الثالث، فهو الذي يوضِح العلاقة بين زمن العالَم والزَّمن الداخلي. هذا الزَّمن هو الذي يعي الزَّمن الذّاتي. أي إنّه يُعطي البُعد الزَّمني لكلّ الأحداث والعمليات العقلية، مثل الأمور المتخيَّلة، والذكريات، والأحاسيس والتوقّعات. هذا القسم الثالث، بحسب «هوسرل Husserl Edmund» ، هو الذي يسمح للزمنَين الذّاتي والخارجي أن يأخذا أبعادهما الزَّمنيّة[5].

سوف نستفيد في دراستنا هذه من تفسير هوسرل حول أقسام الزَّمن لأنّ الانخراط في الزَّمن، الافتراضي عبر وسائل الاتّصال ما هو في الحقيقة إلّا توظيف للوعي والإدراك

(3) المرجع السابق، ص 35.

(4) Robert Sokolowski, *Introduction to Phenomenology* (United Kingdom: Cambridge University Press, 2000).

(5) Phenomenology and Time-Consciousness, Internet Encyclopedia of Philosophy *(http:// www.iep.utm.edu/).*

لإعطاء العمليات الذهنية أبعادها الزَّمنية. وهذا ما يقوم به القسم الثالث من الزَّمن بحسب نظرية هوسرل.

I. الزَّمن الافتراضي والزَّمن الواقعي

وُلد الزَّمن الافتراضي مع ولادة المجتمعات الإلكترونية. وهو يشتمل على الزَّمنين الاتّصالي والإعلامي اللذَين تحكمهما وسائل الاتّصال، كالهواتف الذكية والألواح الإلكترونية، ووسائل الإعلام كالتلفزيون والراديو. أمّا الزَّمن الواقعي فهو الزَّمن الحقيقي المعيش وهو يقاس باللّحظات والساعات والأيام.

1- تكنولوجيا الاتّصال والإعلام والتحكّم بالزَّمن

إنّ من أبرز الخصائص التي تميّز وسائل الاتّصال والإعلام الحديثة عن الوسائل التقليدية هي خاصيّة «اللّاتزامنية». واللّاتزامنية تعني أنّ مُستخدمي هذه الوسائل يمكنهم المشاركة في العمليّة الاتّصالية، بإرسال أو استقبال الرسائل، في الوقت الذي يحدّدونه، من دون أن يكون هناك تزامن بالضرورة بين وقت إرسال الرسالة ووقت استقبالها. بمعنى آخر، إنّ مُستخدمي هذه الوسائل يمكنهم أن يتلقّوا المادّة الإعلامية أو أن يتبادلوا الرسائل في الوقت الذي يناسبهم، من دون أن تحصل عمليّتا الإرسال والاستقبال في الوقت نفسه.

الأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها البريد الإلكتروني. ففي هذا الأخير، ليس من الضروري أن تتزامن لحظة إرسال الرسالة مع لحظة استقبالها، بل إنّ المتلقّي هو الذي يختار متى يقرأ الرسالة ومتى يردّ عليها. وعلى عكس الاتّصال الشخصي الذي يحتّم تواجد عنصرَي العملية الاتّصالية (المُرسِل والمتلقّي) في اللّحظة نفسها وفي المكان ذاته، فإنّ الاتّصال عبر البريد الإلكتروني يُعطي الأشخاص إمكانية تجاوز حدودَي الزمان والمكان، كما يعطيهم القدرة على السيطرة على الزَّمن بشكل أو بآخر.

ينطبق ذلك أيضاً على مشاهدة البرامج التلفزيونية. ففي الإعلام التقليدي، وتحديداً التلفزيون، لا بدّ للمُشاهد أن يُشاهِد البرامج أو المسلسلات أو نشرات الأخبار ساعة بثّها، أو انتظار أوقات الإعادة إذا كان ذلك متوفّراً. ولكن مع الإنترنت والإعلام الإلكتروني، بات للمشاهد إمكانية التحكّم في وقت المشاهدة. فمن خلال المواقع الإلكترونية للمحطّات التلفزيونية، أو موقع يوتيوب (Youtube) وغيرها من المواقع، بات بإمكانه

مشاهدة المادّة الإعلامية التي يريد وفي الوقت الذي يريد، وحتّى بشروط مشاهدة أكثر مرونة وملاءمة. فعلى سبيل المثال، يمكنه أن يتفادى المقاطع الإعلانية، أو أن يُشاهِد المادّة الإعلامية بصورة مجزأة وفي أوقات متقطّعة. وبالتالي، فإنّ مواعيد عرض البرامج على شاشة التلفزيون لم تَعُد تشكّل هاجساً بالنسبة إلى المُشاهِد، لأنّه يستطيع ببساطة الحصول على المحتوى نفسه على الإنترنت في المواعيد التي يحدّدها هو.

انطلاقاً من ذلك، نتساءل ما إذا كانت وسائل الإعلام والاتّصال الحديثة تتيح للأفراد إمكانية السيطرة على الزَّمن من خلال خاصّية «اللّاتزامنية» التي تُمَيِّزُها عن وسائل الاتّصال والإعلام التقليدية. ففي هذه الأخيرة، يعيش الأفراد تحت سطوة الحاضر، لأنّ حصول العمليّة الاتّصالية ونجاحها مرتبطان بالزَّمن الحاضر. أمّا مع تكنولوجيا الاتّصال، أَوَليس لهؤلاء القدرة على التحكُّم بالزَّمن؟ أَوَليس بإمكانهم «استحضار هذا الحاضر» في أيّ لحظة مستقبلية يختارونها؟

يُبيِّنُ الجدول التالي الفَرق بين وسائل الإعلام التناظرية والرقمية من حيث العلاقة بالزَّمان والمكان(6).

	الإعلام التناظري	الإعلام الرقمي
الإعلام في الزمان والمكان	ينشر المعرفة عبر المكان(2)	ينشر المعرفة عبر الزمان والمكان
	تزامني	لا تزامني
	من مُرسِل واحد إلى مجموعة	من مجموعة إلى مجموعة
	أحاديّ الاتّجاه	تفاعلي

(6) Kweon Sang-Hee, Hwang Kyung -Ho, Jo Do-Hyum, »Time and Space Perception on Media Platforms«, *Proceedings of the Media Ecology Association*, Volume 12, 2011, p.26.

(2) تتعلّق هذه الخاصّية بنظرية هارولد إنيس حول « تحيّز وسائل الاتّصال». قسَّم هارولد إنيس وسائل الاتّصال إلى تلك التي تنشر المعلومات والمعرفة من حيث الرقعة المكانية، وتلك التي تنقل هذه المعلومات عبر الزَّمن، أي من جيل إلى آخر.

2- الزَّمن الاتّصالي... وتعدّد الأزمنة

يحتوي الزَّمن الاتّصالي في داخله على عدّة أزمنة، لكلٍّ منها وحدة قياس تختلف عن الأخرى. يجد الفرد نفسه في تَعَرُّضِهِ لوسائل الإعلام والاتّصال، أمام هذه الأزمنة المتداخلة، يَجْهَدُ في التحكُّم بها بما يتناسب مع واقعه المعيش. يعني ذلك أنّه، وفي اللّحظة الواقعية المعيشة نفسها، يعيش الفرد أزمنة متداخلة بحكم تَعَرُّضِهِ لوسائل الإعلام والاتّصال. سنعطي مثالاً: أثناء قيادته السيارة متوجِّهاً إلى عمله، يُواجِه الشاب «أ» زحمة سير خانقة، تؤخِّره عن موعد الاجتماع المقرَّر في الشركة التي يعمل فيها. وبينما هو يتقدَّم ببطء شديد في السيارة، يتواصل عبر تطبيق «واتس آب Whats up» على هاتفه الذكي مع عدد من الأشخاص. بداية، يُعلِمُهُ زميله في العمل ببدء الاجتماع، ويخبره بمجريات النقاش الذي يدور فيه. من جهة ثانية، يخبره شقيقه الذي يعيش في ألمانيا بأنّ ابنته أنهَت عامها الدراسي بنجاح ونالت إجازة في إدارة الأعمال. يتواصل «أ» أيضاً مع والدته ليَطمئِن على صحّتها. وأخيراً، يُخطِّط مع صديقه لتمضية الأمسية معاً لمتابعة مباراة كرة القدم المُرتقَبة.

ما الذي حصل مع الشاب «أ» في هذا المثال؟ في الحقيقة، لقد دخل إلى عوالم متعدّدة، وسافر من خلال وسيلة الاتّصال هذه إلى أزمنة مختلفة. كلّ ذلك بينما هو قابع خلف مقود سيّارته في أحد الشوارع الضيّقة. هو بذلك يُتابِع مجريات اجتماع هو ليس حاضراً فيه حسّياً، وهو يدخل إلى عالَم شقيقه المغترب ويشاركه فرحته بنجاح ابنته، وهو يزور والدته افتراضياً ويَطمئنّ إلى صحّتها، وهو أخيراً يُخطِّط لحدثٍ سيحصل مستقبلاً وهو لقاء صديقه. كلّ ذلك تمّ افتراضياً، بينما هو يشعر بغيظ من زحمة السير التي تُضَيِّعُ وقته الثمين.

يدفعنا هذا إلى التساؤل عمّا إذا كان مفهوم الزَّمن قد اختلف مع استخدام وسائل الاتّصال الحديثة. هل فعلاً الوقت الذي يقضيه الشاب «أ» في زحمة السير هو وقت ضائع لا قيمة له؟ الإجابة لا، إذ إنّ هذا الوقت اكتسب قيمة لأنّه اجتاز العالَم الواقعي واقتحم العالَم الافتراضي. لقد استفاد الشاب «أ» من الزَّمن الواقعي البطيء ليسافر إلى أزمنة أخرى حيوية، استحضرها هو إلى الزَّمن الحاضر، لتدخل في إطار وعيه وإدراكه.

ولكن ما الذي أتاح للشاب «أ» السفر إلى هذه الأزمنة المتعدّدة واجتياز المسافات التي تفصله واقعياً عن الأشخاص الذين تواصل معهم؟ إنّه الوعي والإدراك. فمن خلال الوعي استطاع أن ينتقل إلى العوالِم والأزمنة الأخرى ليستحضرها إلى الزَّمن الحاضر. يُحيلُنا هذا من جديد إلى أقسام الزَّمن الثلاثة في فلسفة إدموند هوسرل (Edmund Husserl)الظواهرية. فالوعي، بالنسبة إلى «هوسرل Edmund Husserl»، هو صلة الوصل بين زمن الأحداث في الواقع والزَّمن الداخلي الذي يقيس الأعمال الذهنية والمشاعر. الوعي هو الذي يسمح للأفراد أن يعيشوا العالَم الداخلي من مشاعر وأفكار وكأنّها واقع.

سنعطي مثالاً آخر يعكس قدرة الأفراد على استحضار أزمنة متعدّدة إلى الزَّمن الواقعي الحاضر، أثناء إعداد الطعام في المطبخ، تعمد «س» - وهي سيّدة في الخمسين - إلى الاستماع إلى أحد البرامج الصباحية على الراديو. في البرنامج تتلقّى المذيعة اتّصالات المُستمعين الذين يُعبّرون عن آرائهم حول موضوع تحدّده المذيعة نفسها. وبينما هي تغسل الخضار وتُقَطِّعُها، تطّلع السيّدة «س» على المشكلات التي يعاني منها «م» لتأمين لقمة العيش لأولاده السبعة. كما أنّها تعلم أنّ «ر» و «ك» لن يتزوّجا قبل تأمين ثمن الشقّة التي ينويان العيش فيها. السيّدة «س» تُشارِك أيضاً «ع» معاناتها مع المرض الذي يحتاج علاجه مبالغ باهظة غير متوفّرة لديها.

بينما تعيش السيّدة «س» الزَّمن الحاضر بوتيرته العادية الرتيبة، تهرب بوعيها إلى عوالِم وأزمنة أخرى. في الحقيقة، إنّ هذه الأزمنة لا تتقاطع إنّما تسير بصورة موازية لبعضها البعض. بمعنى آخر، إنّ دخول السيّدة «س» إلى عوالِم «م» و«ر» و« ك» و«ع» لم يوقف حاضرها، بل أدخلها هي من خلال عملية الوعي إلى أزمنة وعوالِم مُتداخلة. فهي لا تزال تعيش واقعها، داخل المطبخ، ولكنّها من خلال عملية الوعي تتعرَّض إلى إيقاعات زمنية موازية.

يدلّ هذان المثلان على أنّه في هذا الزَّمن الاتّصالي، نحن نعيش هنا وهناك وفي كلّ مكان في آن معاً، نعيش الآن والأمس والغد في اللّحظة نفسها. وبالتالي، نستخلص أنّ العالَم الافتراضي يحتوي في داخله على الأزمنة كلّها، وإنْ كان هناك تحليل مناقض يقول إنّنا نعيش في اللّامكان ونعيش سطوة اللّحظة.

3- جدليّة العلاقة بين الزَّمنين الافتراضي والواقعي

لكن، السؤال الذي نطرحه هنا هو التالي: متى يتقاطع هذا العالَم الافتراضي مع الواقع؟

لا شكّ بأنّ وتيرة الزَّمن الاتّصالي هي أسرع من وتيرة الزَّمن الواقعي. ويعود ذلك إلى أنّ العالَم الافتراضي يستطيع أن يشطب وأن يلغي المعوقات، التي قد تحكم الإنسان في الحياة اليومية، المعوقات التي هي جزء من الواقع المعيش.

نعطي هنا مثالاً بسيطاً: تكثر صفحات الطبخ في موقع «فايسبوك»، وهي تقدِّم وصفات طبخ سريعة لا تتجاوز الواحدة منها الثلاثين ثانية. صورة سريعة تبدو فيها يدان رشيقتان تعملان بخفّة، تُضيفان المحتويات، الواحد تلو الآخر. في هذا الفيديو السريع، تُحضَّر الطبخة وتُنجَز ويُؤكَل منها خلال ثلاثين ثانية كحدّ أقصى. غير أنّ هذه السرعة لا تنطبق على الواقع. فإذا أردنا تطبيق وصفة الطعام هذه في الواقع، فإنّها حتماً ستستغرق وقتاً لن يقلّ عن نصف ساعة. فريثما يتمّ غسل المكوّنات، وتقطيعها، وطبخها ونضجها، فإنّ هذا يحتاج وقتاً طويلاً. قد يبدو هذا المثل بسيطاً، لكنّه يعكس الإرباك الذي قد يحدثه الزَّمن الاتّصالي في حياة الناس الواقعية.

من جهة ثانية، وفي جدلية العلاقة بين وسائل الإعلام والزَّمن، نجد أنّ هذه الوسائل تعمد إلى تقريب الأفراد إلى الواقع وإبعادهم عنه في الوقت نفسه. عندما نتحدّث عن الزَّمن الافتراضي في عصر وسائل الاتّصال الحديثة، فإنّنا نتحدّث حتماً عن أمور غيّرت مفهوم الزَّمن. أمور مثل المواقع الإخبارية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والبثّ المُباشر، والتي تتّسم بالدرجة الأولى بخاصّية «الفورية». إنّ هذه الأمور سمحت للأفراد بأن يعيشوا الأحداث فور وقوعها، أي إنّها سمحت لهم بأن يتابعوا تلك الأحداث لحظة بلحظة. من هنا، يظهر لنا أنّ الزَّمن الإعلامي الذي تمثله وسائل الإعلام الحديثة هو زمن يجهد للاقتراب قدر الإمكان من الزَّمن الحقيقي. هو زمن يسير باتّجاه الواقع، ولا يبتعد عنه. يستدرج الأفراد للعيش فيه ليكونوا قريبين قدر الإمكان من الواقع وأحداثه. في المقابل، إنّ هذه الوسائل تعمد إلى خلق حاجز بين الفرد والحقيقة. حواجز مادّية وذهنية في الوقت نفسه.

في هذا السياق، يقول الباحث الإسكتلندي تيموثي سكوت باركر (Timothy Scott Barker): «إنّ تكنولوجيا الإعلام تضع مستخدميها في احتكاكٍ مباشر مع الأحداث

التي تدور حول العالَم، مُتيحةً لهم إمكانية التفاعل مع هذه الأحداث، والاقتراب أكثر فأكثر إلى «الزَّمن الحقيقي». ولكن في الوقت نفسه، هي تستدرج الناس إلى إيقاعها هي، وتخلق أزمنة جديدة، وهيكليات جديدة، وبروتوكولات جديدة ممّا يجعلهم بعيدين عن هذه الأحداث»[7]. إنّ مشاهدة فيلم سينمائي، على سبيل المثال، يوضح هذا التخبّط الذي قد يصيب المشاهد من حيث الاقتراب والابتعاد عن الواقع. قد يدفع الفيلم المشاهَدُ إلى التماهي مع أبطاله ومع تفاصيل حياتهم من جهة، غير أنّه يختصر حيوات بأكملها في مدّة زمنية لا تتجاوز الساعتَين من جهة الثانية. وهذا ما يقلِّل من درجة واقعيّته.

الاستنتاج نفسه قد ينطبق على التغطية المباشرة للأحداث في وسائل الإعلام. صحيح أنّ هذه التغطية الحيّة تحمل المُشاهد إلى أرض الحدث وتتيح له إمكانية معايشة هذا الأخير، غير أنّه لا مناصّ من القول إنّ الحدث الإعلامي لا يتطابق تماماً مع الحدث الحقيقي الذي يدور من وراء عدسة الكاميرا. الحدث الإعلامي تدخل فيه تعليقات المراسلين والمذيعين، كما تدخل فيه المقابلات مع الأشخاص المعنيّين من جهة والاتّصالات مع الخبراء من جهة ثانية. في حديثها عن الحدث الإعلامي، تشير جوسلين آركمبورغ (Jocelyne Arquembourg) إلى أنّ هذا الأخير يظهر وكأنّه نسخة مُفبرَكة عن بُعد للأحداث التي تدور في الواقع. هو نسخة مشوَّهة عن هذا الواقع، والسبب يعود إلى النَّزعة الصناعية التي اقتحمت مِهن الصحافة، إلى جانب التطوّر التكنولوجي الذي طرأ على وسائل الاتّصال، وأخيراً إلى المصالح الاقتصادية والمادّية التي يسعى وراءها مالكو هذه الوسائل[8]. وبالتالي فإنّ المُشاهِد لا يعيش الحدث نفسه إنّما يعيش الصورة التي تقدّمها وسائل الإعلام عنه. هو لا يعيش الزَّمن الحقيقي لهذا الحدث إنّما زمنه الإعلامي، الذي هو في هذه الحالة نسخة مشوّهة عن الزَّمن الحقيقي.

يقودنا هذا إلى تحليلات الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (Paul Ricœur) حول

---

(7) Timothy Scott Barker, Media In and Out of Time: Multi-Temporality and the Technical Conditions of Contemporaneity, in *Colloque Le sujet Digital: Temporalités*, 12-14 novembre 2014, Université Paris 8.

(8) Jocelyne Arquembourg, «De l'événement international à l'événement global: émergences et manifestations d'une sensibilité mondiale», in *Hermès* n°46, Paris, CNRS éditions, (2006), p.14.

السرد وعلاقته بالزَّمن[9]. يُحدِّد ريكور ثلاث محطّات أساسية لكلٍّ منها دَور أساس في عملية تشكيل الحدث. المحطّة الأولى هي وقوع الحدث في الواقع. والمحطّة الثانية هي محطّة الكتابة التي تتمثّل في وصف ما حدث من خلال اللّغة. أمّا المحطّة الثالثة، والتي تُعدّ المتمِّمة لهذه العملية، فهي القراءة التي تتمّ من جهة المتلقّي. بالنسبة إلى ريكور (Ricœur)، إنّ عملية السرد لا تتحقّق إلّا حين يقرأ المتلقّي النصّ المكتوب[10]. ينطبق ذلك في طبيعة الحال على كلّ عملية سرد، بما في ذلك سرد الحدث الإعلامي في وسائل الإعلام. وفق نظرية ريكور ، هناك ثلاثة أزمنة تدخل في عملية السرد: زمن الحدث نفسه، وزمن الكتابة، وزمن القراءة. ولكلٍّ من هذه الأزمنة مقاييسها. غير أنّ زمن القراءة أو تلقّي ما قيل أو صُوِّر أو وُصِف هو الذي الذي يُعطي للحدث بعده الزَّمني.

في السياق نفسه، يصف الكاتِب الفرنسي المؤيّد للفلسفة الظاهراتية كلود رومانو (Claude Romano) في كتابه «**الحدث والعالَم**»[11] الحدث الإعلامي بأنّه حدث منفصل عن سياقه الحقيقي والواقعي، وأنّه يتطابق مع التعبير اللغوي الذي يمثّله. أي إنّ الجمهور يعيش الحدث الإعلامي ليس في السياق الحقيقي الذي حصل فيه، إنّما من خلال عملية التوسط التي تقوم بها وسائل الإعلام. وبالتالي، فإنّ الحدث الإعلامي يُعاش من قبل الجمهور ليس في الزَّمن الحقيقي، إنّما من خلال الوسيط الإعلامي الذي يُعيد تمثيله (La re-présentation)[12].

4- الحدود الفاصلة بين الزَّمنين الواقعي والافتراضي

إن وسائل الاتّصال والإعلام الحديثة جعلت من الصعب فصل الأزمنة المتعدّدة بعضها عن البعض الآخر. مثال على ذلك إنّ العمل في معظم الأحيان لا ينتهي بانتهاء

(9) يقدِّم بول ريكور في ثلاثيّته «الزمان والسرد» - والتي نشرت تواليًا أعوام 1983، 1984، 1985- دراسة وتحليلاً معمّقين حول العلاقة بين الزمان والسرد.

(10) Paul Ricœur, *Temps et récit1: l'intrigue et le récit historique* (Paris : Editions du Seuil, 1983), p.107.

(11) يأتي هذا الكِتاب ضمن ثلاثيّة للكاتب نفسه كلود رومانو: «الحدث والعالَم»، «الحدث والزَّمن»، «المغامرة الزَّمنية»، يتناول فيها «الحدث» كظاهرة من منطلق الفلسفة الظواهرية أو «الفينومينولوجية».

(12) Claude Romano, *L'événement et le Monde* (Paris : PUF, 1998), p.273.

الدوام الرسمي، إنّما هو مستمرّ بتفاصيله كافّة طيلة ساعات اليوم، طالما أنّ وسائل الاتّصال في حوزتنا في كلّ مكان. الهاتف، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصّية جميعها تجعل من العمل حالة مستمرّة. من هنا تتشابك وتيرة العمل وتتقاطع مع وتيرة الزّمن الواقعي. وبالتالي، فإنّ تكنولوجيا الاتّصال والإعلام جعلت الحدّ الفاصل بين الأزمنة أمراً صعباً.

نعطي مثالاً: بعد انتهاء دوام عملها عند الثالثة، تعود السيّدة «ل» إلى بيتها. وبينما هي تلعب مع أطفالها وتهتمّ بهم، تردها رسائل نصّية متعلّقة بالعمل، فتضطّر لأن تسلخ نفسها – من خلال الوعي – من واقعها المعيش، وتسافر ذهنياً إلى عالَم آخر غير حسيّ هو عالَم العمل، الذي يتّسم بوتيرة مختلفة عن وتيرة اللّحظة الحاضرة التي تعيشها مع أولادها في البيت. يعني ذلك أنّه مع تكنولوجيا الاتّصال الحديثة، لا توجد لحظة حاضرة واحدة إنّما متعدّدة. هناك اللّحظة الحاضرة المعيشة وبموازاتها اللّحظات الحاضرة التي تستدرجنا وسائل الاتّصال الحديثة لنكون جزءاً منها بوعينا. هو إذاً سيل من اللّحظات الحاضرة التي تسير جميعها بموازاة بعضها بعضاً.

II. الزّمن الإعلامي والزّمن الاجتماعي... مقارنة بين جيلَيْن

تُشَكِّلُ التقنيات والأجهزة الحديثة أساساً في نشأة جيل بأكمله ونضوجه. هو الجيل الشاب الذي نشأ وتربّى وتكوَّن وعيه مع هذه الأجهزة. في المقابل، هناك جيل تُعدّ تكنولوجيا الاتّصال بالنسبة إليه أمراً مستجداً، عليه أن يأخذ قراراً في ما إذا كان سيتقبلها أم لا، وفي ما إذا كان سيُدخِلها في دائرة اهتماماته أم لا. بمعنى آخر، إنّ هذا التطوّر السريع في عالمَي الاتّصال والإعلام قد باغَتَ الأشخاص الكبار في السنّ، فارِضاً عليهم ضرورة التكيّف مع سمات العصر الجديدة لمواكَبة هذا العصر ولِلّحاقِ بسرعته.

أ– الجيل «القديم» وتكنولوجيا الاتّصال

ما الذي يدفع الأفراد إلى تعلّم مهارة جديدة كمثل استخدام جهاز الكمبيوتر أو الهواتف الذكية؟ وهل استخدام هذه الأجهزة يعني بالضرورة تقبّلها؟ كيف أثَّرت هذه الأجهزة على روتين حياة الأفراد الذين يتجاوز عمرهم الخمسين عاماً؟ هل أدخلت إيقاعاً جديداً إلى حياتهم؟

1- دوافع استخدام وسائل الاتّصال عند الكبار

بالنسبة إلى مجموعة الأفراد التي شملتها الدراسة، يمكن حصر الدوافع التي شجّعت الأشخاص الكبار في السنّ على استخدام تكنولوجيا الاتّصال بدافعَين رئيسَين: الأوّل «مواكَبة العصر والتطوّر»؛ والثاني «التواصل مع الآخرين بصورة عامّة وتحديداً مع الأبناء المغتربين». هناك أيضاً دافع ثالث هو «تسيير أمور العمل»، لكنّه يأتي بدرجة أقلّ أهمّية من السببَين الأوّلين. أمّا الدافع الرابع، وبحسب بعض الأشخاص، فهو بطبيعة الحال التسلية والترفيه.

يعكس الدافع الأوّل حاجة الإنسان الدائمة إلى التأقلم مع الظروف المحيطة. كما يعبِّر عن شعور هؤلاء بوجود نقصٍ ما لديهم تجاه هذا المحيط، يدفعهم إلى اتّخاذ تدابير معيّنة من شأنها سدّ هذا النقص. وعلى الرّغم من أنّهم يجدون أنفسهم «مضطّرين» لأن يتعلّموا كيفية استخدام هذه الأجهزة، أي إنّهم يفعلون ذلك - في معظم الأحيان - «رغماً عنهم»، إلّا أنّهم يجدون أنّ هناك ضرورة ملحّة للِّحاق بتطوّر العصر ومواكبته. من جهة ثانية، هُم يجدون أنفسهم أمام تحدٍّ كبير، إذ إنّهم يودّون أن يُثبِتوا لأنفسهم أوّلاً ولمحيطهم ثانياً أنّهم قادرون على تعلّم مهارة جديدة، يودّون أن يثبتوا أنّ هذه العصر لم يسبقهم وأنّهم ما زالوا جزءاً فاعلاً فيه.

وبالنسبة إلى الدافع الثاني، وهو التواصل، يجد الأشخاص الكبار في السنّ أنفسهم أمام الحقيقة التالية: إنّ وسائل الاتّصال الحديثة، وتحديداً الهاتف الذكي، شاؤوا أم أبَوا، هي المفتاح الأساسي للتواصل في هذا العصر. بمعنىً آخر، إنّ أيّ عملية تواصل بين شخصَين اثنَين أو حتّى بين مجموعة من الأشخاص، تتمّ عبر وسائل الاتّصال الحديثة، مثل «واتس آب Whats app»، و«فايبر Viber»، و«فايسبوك Facebook» وغيرها. فالمعادلة تصبح كالتالي: إمّا أن نتعلّم استخدام هذه الوسائل لكي نتمكّن من التواصل مع الآخرين، أو إنّنا نفقد هذا التّواصل.

ولكي تنجح أيّ عملية تواصل، يجب أن يكون هناك تناسق بين الوسيلة الاتّصالية التي يعتمدها طرَفا الاتّصال. فبعد أن كان الاتّصال يتمّ عبر المحادثة الهاتفية، بات الآن يتمّ في معظم الأحيان عبر رسائل نصّية من خلال تطبيقات مثل «واتس آب Whats app» وغيرها. طالما أنّ هذه الرسالة تفي بالغرض، فإنّ المحادثة الهاتفية تصبح مضيعة للوقت.

نعطي مثالاً: قبل أن تقتني السيّدة «هـ» هاتفاً ذكياً، كانت تعتمد وسيلة المحادثة الهاتفية لتَطمئِنّ على ابنتها عندما تكون خارج البيت. كانت تتّصل بها أكثر من خمس مرّات يومياً، وفي أحيان كثيرة لم تكن ابنتها تجيب على الاتّصال لأنّها تكون إمّا داخل الصفّ في الجامعة، أو منشغلة في عملها. وكان ذلك يُسبِّب للأمّ الإزعاج والتوتّر. فهي تعيش إيقاعاً بطيئاً في بيتها، ولا تتقبّل فكرة أنّ ابنتها تعيش إيقاعاً مختلفاً أكثر سرعة وضوضاء. إنّ هذا التفاوت في إيقاعات الحياة التي تعيشها كلٌّ من السيّدة «ه» وابنتها سبَّبَ فشلاً في عمليّة التواصل بينهما.

كان الحلّ في أن تُهدي الفتاة والدتها هاتفاً ذكيّاً، وأن تُعَلِّمَها كيفيّة استخدامه. فحلُّ العائق التقني أسهَم في حلّ أزمة التّواصل. باتت السيّدة «هـ» ترسل رسالة نصّية على واتس آب «Whats app»، وتَلقى إجابة إن لم يكن بصورة مباشرة، فبعد فترة زمنية قصيرة، وذلك لأنّ كتابة الرسالة بطبيعة الحال هي أسهل وأسرع من المُحادثة الهاتفية.

نستنتج من ذلك أنّ وسائل الاتّصال الحديثة قدَّمت للأشخاص مُفتاحاً جديداً للتواصل، أكثر مرونة وسهولة من الاتّصال الشخصي، معتمدةً على خاصّية «اللّاتزامنية» التي تَتَّسِمُ بها، والتي تحدَّثنا عنها سابقاً. نستنتج أيضاً أنّ مثل هذه الوسائل سمحت للكبار في السنّ بدخول عوالِم أبنائهم، ومجاراة السرعة التي تَتَّسِمُ بها هذه العوالِم. لقد أسهمت هذه الوسائل، بشكلٍ أو بآخر، في تقليص المسافة الزمانية والمكانية بين الجيلَين.

2- التّواصل الافتراضي على حساب التّواصل الحقيقي

هل حَلَّ التواصل الافتراضي بين الناس محلّ التّواصل الحقيقي؟ هل أسهمت هذه التقنيّات الحديثة في تقليص العلاقات الاجتماعية أم إنّها أخذتها إلى مكانٍ جديد وإلى منحىً مختلف؟

لا شكّ بأنّ تقنيّات الاتّصال الحديثة ساعدت كثيراً، وبشكلٍ جذريّ، في تقليص المسافات وفي اجتياز الحدود الجغرافية. ينعكس ذلك بصورة واضحة لدى الأهالي الذين يجدون في هذه الوسائل مسعفاً أساسياً للتواصل مع أبنائهم الذين يعيشون خارج بلدهم. فإلى جانب تقليص الكلفة المادّية للاتّصال، تؤمِّن هذه الوسائل اتّصالاً صوتياً ومكتوباً ومرئياً بصورة سهلة ومرنة.

هذا في ما يتعلّق بالتّواصل مع الأشخاص البعيدين جغرافياً. ولكن ماذا عن الأشخاص الذين لا يشكّل البُعد الجغرافي حاجزاً بيننا وبينهم؟ يقول الأشخاص الذين أجرينا مقابلات معهم إنّ التّواصل عبر وسائل الاتّصال الحديثة سبَّبَ تراجعاً في عددٍ من العادات اليومية لديهم، مثل زيارة الأقارب والأصدقاء، والجلوس مع الجيران، وممارسة الأعمال الدينية، أي إنّ هذه الوسائل فَرَضَت إيقاعاً جديداً في حياتهم.

في هذا السياق نعطي مثالاً يُبيِّنُ كيف تَفَوَّقَ التّواصل الافتراضي على التّواصل الحقيقي في بعض الأحيان: بعد أن كان السيّد «ن» (58 عاماً) يقضي وقت الاستراحة في العمل مع زملائه يتحدّثون ويدردشون و«يتشاركون همومهم»، بات كلّ واحد منهم يلهو بهاتفه، وتحديداً بالتّواصل مع الآخرين عبر «واتس آب Whats app». وهكذا، فإنّ وسائل الاتّصال هذه قادرة على أن تعزل الفرد عن محيطه، وتنتزعه من عالَمه الواقعي وتُبعده إلى مكان غير موجود حسّياً. في هذا التّواصل الافتراضي، تنعدم لغة الجسد ولغة العَينَين، وتتراجع أهمّية نبرة الصوت، وقوّته أو ضعفه، لتحلّ محلّها الرسالة النصّية الجامدة. يُحيلُنا هذا إلى نظريّة «ثراء وسائل الإعلام» التي تُمَيِّزُ بين وسائل اتّصال «غنيّة» وأخرى «فقيرة» من حيث قدرتها على نقل المعلومات وإيصالها بأعلى درجة مُمكِنة من الوضوح والشفافية[13]. فوسائل الاتّصال الحديثة هي من دون شكّ أقلّ غنىً من الوسائل التقليدية، كالاتّصال الشخصي مثلاً، لأنّ إمكانية توصيل المعلومات من خلالها يُعدّ أكثر صعوبة، وأكثر بُطْئاً، وأقلّ دقّة من توصيل المعلومات عبر التواصل المباشر وجهاً لوجه.

ب- «الجيل الجديد» ودوافع استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتّصال

لا تختلف دوافع استخدام وسائل الإعلام والاتّصال الحديثة بين الفئات العُمرية المَعنيّة في هذه الدراسة، ولكن ما قد يختلف هو تسلسل هذه الدوافع من حيث الأهمّية. فالشباب والشابات الذين لا يتجاوز عمرهم الثلاثين عاماً، والذين تناولتهم هذه الدراسة، يستخدمون تكنولوجيا الاتّصال لأغراضٍ تتعلّق بالدرجة الأولى «بالتسلية»، وبالدرجة

(13) صاحِبا هذه النظرية هُما: ريتشارد دافت وروبرت لينغيل، اللّذان صَنَّفا وسائل الاتّصال من الأكثر إلى الأقلّ غنىً: الاتّصال الشخصي يليه المؤثّرات الصوتية والمرئية، تليها الاتّصال الهاتفي، ثمّ البريد الإلكتروني، ثمّ التقارير المكتوبة الموجّهة، وأخيراً التقارير المطبوعة غير الموجّهة.

الثانية بـ«التواصل مع الأصدقاء القدامى»، هذا إلى جانب «متابعة الأمور المتعلّقة بالعمل»، و«تلك المتعلّقة بالدراسة».

ولعلّ من أبرز الأسباب التي تدفع هؤلاء إلى النزوع نحو تكنولوجيا الاتّصال والمعلومات هو السرعة التي تَتَّسِمُ بها هذه الأخيرة: السرعة في النفاذ والحصول على المعلومات، والسرعة في إنجاز المهمّات سواء المهنيّة أو الاجتماعية، هذا عدا عن السرعة في التواصل. نعطي في هذا السياق مجموعة من الأمثلة: سرعة التنقيب عن معاني كلمات على الكمبيوتر مقابل التفتيش عن هذه المفردات في القاموس الورقي التقليدي، وسرعة النفاذ إلى المعلومات لإجراء بحثٍ ما مقابل التفتيش عن المراجع والكُتب في المكتبة، وسرعة الاطمئنان على أحد الأقارب عبر الرسائل النصّية مقابل القيام بزيارة قد تستغرق مدّتها أكثر من ساعة من الزَّمن، وغيرها الكثير من الأمثلة. وبالتالي، فإنّ هذه الوسائل والتقنيّات تجيب على تطلّعات الأشخاص لتلبية أغراضهم وإنجاز أعمالهم في وقتٍ سريع يجاري السرعة التي يسير فيها هذ العصر.

1- **الحضور واللّاحضور**

في المجموعة التي تمّت مقابلتها، تأخذ وسائل الاتّصال الحديثة، وتحديداً الهواتف الذكيّة، حيّزاً كبيراً من يوميّات الأشخاص الذين ينتمون إلى الفئة العُمرية الشابة. لقد باتت هذه الوسائل جزءاً أساسياً من الواقع، بشكل يصعب معها التمييز بين اللّحظة الواقعية المعيشة واللّحظة الافتراضية المعيشة. وقد خلق هذا، بشكل أو بآخر، مشكلة أو تصادماً بين الأهل وأبنائهم، بحيث ينتقد الأهل الأولاد على استغراقهم فترات زمنيّة طويلة في استخدام أجهزة الاتّصال، التي باتت تسلخهم عن محيطهم وواقعهم. صحيح أنّهم موجودون جسدياً معهم في غرفة واحدة، يتشاركون وإياهم اللّحظة الحاضرة نفسها، إلّا أنّهم بوعيهم وذهنم ومشاعرهم وفكرهم في مكان آخر، في عالَم آخر، يعيشونه أيضاً بكلّ تفاصيله. هو إذاً الحضور واللّاحضور.

تنطبق ازدواجية الحضور - اللّاحضور تلك ليس على العالَم الواقعي فقط، بل أيضاً على العالَم الافتراضي. فمستخدمو وسائل الاتّصال الحديثة هُم في حالة ارتباك بين الــ«هنا» والـ«هناك». حضورٌ جسديّ يرافقه اجتهاد لإدراك كلّ ما يحيط هذا الواقع من

تفاصيل. في المقابل، غيابٌ جسدي في العالَم الافتراضي يرافقه حضور ذهنيّ لعَيش هذا العالَم غير الموجود حسّياً.

2- **الشباب وانقطاع الاتّصال بالشبكة**

لقد سمح الإنترنت وتكنولوجيا الاتّصال الحديثة لهؤلاء الأشخاص أن يبقوا في حالة تشابك (connected) واتّصال (online) دائمين مع المحيط الخارجي[14]. ولهذا، فإنّ «الانقطاع عن الشبكة» بات يضع الأشخاص في حالة ارتباك. بمعنى أنّه يُحدث لديهم إرباكاً ذهنيّاً مُعَيَّناً يجعلهم يشعرون وكأنّهم منقطعون عن عالَمهم، وكأنّهم «وحيدون».

نُعطي مثالاً: «ك» شاب جامعي يعيش وحده في شقّة صغيرة. لا يملك جهاز تلفزيون. يكتفي بالهاتف الذكيّ واللّوح الإلكتروني باستخداماتهما المتعدّدة: هاتف، ومواقع تواصل اجتماعي، ومشاهدة البثّ الحيّ لمحطّات التلفزيون، ومشاهدة حلقات مسلسلات وفيديو على «يوتيوب»، والاستماع إلى البثّ الحيّ لإذاعات الراديو، وقراءة الصُّحف إلكترونيّاً، وإرسال واستقبال الرسائل النصّية والصوتية، وغيرها الكثير من الاستخدامات. المشكلة، كما يشرح الشاب «ك»، تقع عندما ينقطع الإنترنت. حينها يشعر وكأنّه منعزل عن العالَم، يشعر وكأنّه وحيد، شعور بعدم الرضى، وبالنَّقص، وبعدم الاكتفاء.

يدفعنا هذا إلى الاستنتاج أنّه، وبسبب وسائل الاتّصال الحديثة، اعتاد الأفراد على ازدحام اللّحظات الحاضرة، حتّى بات الحاضر الواقعي المعيش وحده غير كافٍ. الواقع وحده لا يرضينا ولا يشبع فضولنا. «الاتّصال بالشبكة» هو إحدى مميّزات الإنسان المُعاصِر. وكأنّ الواقع وحده عالَم ضيّق ذو أُفق محدود. في حين أنّ أُفق الإنسان المُعاصِر حدوده أوسع من هذا الواقع. الواقع وحده لا يتّسع لهذا الأُفق.

الخلاصة

لا شكّ بأنّ تكنولوجيا الإعلام والاتّصال قد اقتحمت حياة الأفراد، من دون أن يكون حاجز العمر عائقاً أساسياً في وجه الإقدام على اقتناء هذه الوسائل. فمتغيِّر العمر لم

(14) مثل «Online» و«Connected» هي مصطلحات باتت شائعة باللّغة الإنكليزية.

يشكِّل، كما أظهرت دراستنا، عاملاً سلبياً في الإقدام على استخدام تقنيّات الإعلام والاتّصال، على الرّغم من اختلاف دوافع الاستخدام بين الجيلَين. الأمر يتعلّق بضرورة مواكبة العصر، إن بالنسبة إلى الصغير أو الكبير. وبما أنّ السرعة هي سمة العصر، وبما أنّ مفتاح السرعة هو التقنيّات الحديثة، فإنّ اقتناء هذه التقنيات والتعلّم عليها باتا ضرورة ملحّة.

لقد غيّرت هذه الوسائل مفهوم الزَّمن. أقحمت الواقعي بالافتراضي، والعكس بالعكس. فمن جهة، يشعر الفرد بأنّ الواقع وحده لا يشبع تطلّعاته، فينزع نحو العالَم الافتراضي من خلال وسائل الاتّصال الحديثة. ومن جهة ثانية، نجد أنّ الزَّمن الإعلامي يجهد للاقتراب قدر الإمكان من الزَّمن الواقعي، ساعياً إلى جعل الناس مُتابِعين الأحداث وكأنّها جزءٌ من واقعها المعيش. من ناحية ثانية، فإنّ الزَّمن الذي يعيشه الأفراد في عصر تكنولوجيا الاتّصال والإعلام والمعلومات هو مزيج من الأزمنة المتداخلة، تجمع بين الواقعي والافتراضي، أزمنة تضع الفرد أمام «سيل» من اللّحظات الحاضرة المتدفّقة التي تسير جميعها بموازاة بعضها بعضاً، من دون أن توقِف إحداها الأخرى.

ختاماً، تُشكّل وسائل الاتّصال الحديثة مساحة مُشترَكة تردم هوّة بين جيلَين: «الجيل القديم»، وقد اتّخذ قراراً باللّحاق بركب تطوّر هذا العصر ومجاراة سرعته، و«الجيل الجديد»، وقد وُلد في موجة السرعة هذه ولا خيار أمامه سوى اللّحاق بركب الثورة التقنية. نتساءل، انطلاقاً من هذا، عمّ إذا كان العالَم الافتراضي قد ألغى متغيِّر الجيل. وإذا كان هذا المتغيِّر قد انتفى في العالَم الافتراضي، فهل انتفى أيضاً في العالَم الواقعي؟ أي إرباك يمكن أن تخلقه هذه الازدواجية: جيلان مُتصادمان في الواقع، ومتقاربان في العالَم الافتراضي؟

المصادر والمراجع

- Arquembourg. Jocelyne, « De l’événement international à l’événement global : émergences et manifestations d’une sensibilité mondiale », in Hermès n°46, Paris, CNRS éditions, (2006).
- Barker. Timothy Scott, Media In and Out of Time: Multi-Temporality

and the Technical Conditions of Contemporaneity, in Colloque Le sujet Digital: Temporalités, 1214- novembre 2014, Université Paris 8.

- Koselleck. Reinhart, *Le futur passé- contribution à la sémantique du temps historique* (Paris : les éditions de l'EHESS, 1990).
- Mead. Georges Herbert, *The Philosophy of the Present* (New York: Prometheus Books, 2001).
- Phenomenology and Time-Consciousness, Internet Encyclopedia of Philosophy (http: / / www.iep.utm.edu /).
- Ricœur. Paul, Temps et récit 1 : l'intrigue et le récit historique (Paris : Editions du Seuil, 1983).
- Romano. Claude, L'événement et le monde (Paris : PUF, 1998).
- Sokolowski. Robert, Introduction to Phenomenology (United Kingdom: Cambridge University Press, 2000).
- Sang-Hee. Kweon, Kyung -Ho. Hwang, Do-Hyum. Jo, »Time and Space Perception on Media Platforms«, Proceedings of the Media Ecology Association, Volume 12, 2011.